الأهرام

١٠/١٠/١٩٥٦

منطق الاستعمار

حددت مصر المبادىء التي يمكن ان تجرى على اساسها المفاوضة بيننا وبين الدول التي تستخدم قناتنا ، وهي اربعة :

اولا : حرية الملاحة .

ثانيا : تعاون بين الهيئة الادارية المصرية للقناة وبين الدول التي تستخدم القناة ، قائم على احترام السيادة المصرية .

ثالثا : انشاء نظام لفرض الرسوم يكفل معاملة منصفة للدول التي تستخدم القناة

رابعا : تخصيص نسبة معقولة من دخل القناة لتوسيعها وتحسين الملاحة فيها .

هذه المبادىء الاربعة متفق عليها نظريا بين مصر وخصومها . فهي المبادىء التي توفق بين مقتضيات السيادة المصرية وحقوق مصر بحسبانها صاحبة القناة ، وبين مصالح الدول التي تستخدم هذه القناة .

فعلام يقوم الخلاف ؟

يقوم الخلاف في الوسائل الكفيلة بتطبيق المبادىء الاربعة .

خصومنا يصرون ان الادارة التي كانت تنظم الملاحة في قناة السويس ادارة دولية ، فيجب ان تستبدل بها ادارة دولية . وهم يطلبون ان تكون هذه الادارة ما سموه هيئة المنتفعين من القناة المصرية .

ونذهب نحن الى ان الشركة المنحلة لم تكن دولية ، بل كانت مصرية تدير الملاحة في القناة بمقتضى « امتياز » أو تفويض ، منحتها مصر اياه عملا بحق السيادة ، وسحبته منها عملا بحق السيادة . فالدولية لم تكن صفة للشركة بل للمعاهدة التي كفلت حرية الملاحة في القناة، اي المعاهدة التي ابرمت عام ١٨٨٨ في القسطنطينية، وهي باقية لم يلغها الذي ؛ لان هذه المعاهدة مستقلة عن الشركة كما كانت الشركة مستقلة عن هذه المعاهدة . فالغاء الشركة ليس له اي اثر في المعاهدة ، سواء من الناحية القانونية او من الناحية الفنية . ولامعنى اذن للمطالبة بانشاء ادارة دولية بدل الشركة المنحلة .

ومن ثم كان غرض المحادثات السرية التي بدات امس في مجلس الامن الاتفاق على وسيلة لتنظيم الملاحة في القناة تحترم سيادة مصر بالتجرد من صفة الرقابة الدولية . ولايخفى ان تحول السير في القضية الى المفاوضة قد جرى بوساطة الولايات المتحدة الامريكية . فكان ذلك من شأنه ان يزيدنا اهتماما بالوقوف على فحوى الخطاب الذي كنا نعلم ان وزير الخارجية الامريكية سيلقيه بعد يوم او بعد ساعات معدودة .

والقى دالاس خطابه . وكان مستهل خطابه وعدا ملهما للامل الا انه من واجب امريكا ان تطلب بالوسائل السلمية حلا للمشكلة يوافق مبادىء العدل ، كما يوافق مبادىء القانون الدولي . السلام من الجانب الاول ، والعدل والقانون الدولي من الجانب الثاني.

ولكن سرعان ماخيب الامل اذ وصف معالجة بريطانيا وفرنسا لازمة القناةبانها معالجةتنم عن حرص على حفظ السلام ، واذ انبأنا بان القناة وان تجرى في ارضنا ، ليست من ارضنا التي يجرى عليها حكم سيادتنا الداخلية ، لانها ولدت دولية ، فهي شقت في ارضنا ولكن لم تشق لنا ، او لنا وحدنا ، بل شقت لجميع من يستخدمونها . هذا حق نالوه من معاهدة القسطنطينية فهم الا يطلبون ممارسته لايعتدون على السيادة المصرية ! ومن لم ينتصر وزير الخارجية الامريكية للمشروع الانجليزي الفرنسي الذي اقرته الدول الثماني عشرة في مؤتمر العاصمة الانجليزية .

عجيبا ! دالاس يعلن منذ بضعة ايام في مؤتمر صحفي ان السياسة الامريكية لن تجاري سياسة الدول الاستعمارية . فما السر تأييده للمشروع الانجليزي الفرنسي ؟

يقول منذ بضعة ايام ان رسالة امريكا الاخذ بناصر الدول المتحررة . فهل باهدار السيادة القومية يعين على التحرر من يعين من الدول الناهضة ؟

امل يجيء يلقنه دالاس للاستعمار الانجليزي الفرنسي في الشرق الاوسط ! فكان وزير الخارجية الامريكية يشترك في الاتفاق الودي الذي احيته الدولتان منذ اسبوعين او نحوهما في العاصمة الفرنسية

لا ، بل كان بريطانيا وفرنسا لا تزالان في عام ١٩٠٤ ، تقتسمان مناطق النفوذ في البلاد العربية باسم التعمير واداء لاسباب الحضارة.

عام ١٩٠٤ ، اي قبل سنوات من حربين بدلتا موازين القوى . وبعثتا القومية العربية فيما بعثتا من القوميات الشرقية ، تطلب حقها في الحرية . عام ١٩٠٤ ، اي يوم كان يكفي بريطانيا او فرنسا ان ترسل بارجة الى ميناء الاسكندرية لتسلم لها مصر بكل مطمع من مطامعها الاستعمارية

هي روح الاستعمار موجهة في عهد بائد تحشد الجيوش وتجمع الاساطيل . واذا تصدت لها مصر قامت تتهم مصر بانها تثير الاضطراب وتهدد السلام بنقض المواثيق

هي روح الاستعمار البريطاني الفرنسي تتخذ من حرية الملاحة في القناة ذريعة لاستعادة سلطانها في ربوعنا وكبت القومية العربية

ولكن هيهات . امل الاستعمار البريطاني الفرنسي في الارتداد الى الحياة ، امل العودة بالزمان خمسين سنة الى الوراء

www.ethraadl.com

اثراء المعارف الرقمية